ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Hawraa Ghawi Idan

Asst. Prof. Dr.Amal Hassan Taher

University: Wasit University

College: College of Art

Email:

Hwraghawy3@gmail.com

Keywords:

the cultural pattern, Bishr bin Abi Khazim, implicit patterns.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received 20 Apr 2023

Accepted 8 May 2023

Available online 1 Jul 2023

Cultural patterns in multiple poetic images

A B S T R U C T

The research deals with the study of cultural patterns in the poetry of the pre-Islamic poet Bishr bin Abi Khazim of different types within multiple poetic images. It was represented in the images of the journey on the camel, and the patterns of separation and abandonment came in the images of the lost woman, and the patterns of fertility were represented in the images of vanity and its details. The research adopted the cultural analysis approach in an attempt to find each of the patterns mentioned, and what refers to it through the images and intellectual contents that the poet deposited in his texts.

© 2022 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

الأنساق الثقافية في صور شعرية متعددة

(شعر بشر بن أبي خازم انموذجا)

الباحثة:حوراء غاوي عيدان /جامعة واسط/كلية الآداب/قسم اللغة العربية

أ.م.د أمل حسن طاهر/جامعة واسط/كلية الآداب/قسم اللغة العربية

الخلاصة:

يتناول البحث دراسة الانساق الثقافية في شعر الشاعر الجاهلي بشر بن أبي خازم على اختلاف انواعها ضمن صور شعرية متعددة،وقد تنوعت تلك الانساق بتنوع الصور الشعرية التي ورد ت فيها ،فكانت انساق المتعة واللذة في دلالات صور المرأة ،اما انساق قوة الذات في مواجهة ألمها وحزنها فقد تمثلت في صور الرحلة على الناقة ،وجاءت انساق الفراق والهجر في صور الظعينة ،وتمثلت انساق الخصوبة في صور الطلل وتفاصيله .وقد اعتمد البحث منهج التحليل الثقافي في محاولة ايجاد كل نسق من الانساق المذكورة ،وما يحيل اليه من خلال الصور والمضامين الفكرية التي أودعها الشاعر في نصوصه.

الكلمات المفتاحية : النسق الثقافي ، بشر بن أبي خازم ،الانساق المضمرة .

يتضمن ديوان بشر مجموعة من الصور الشعرية التي له أهميتها ودورها في بناء قصائده،ولو تطرقنا إلى معنى الصورة في اللغة نجدها مأخوذة من الفعل (صور)،فيقال(تصورت الشيء:توهمت صورته،فتصورلي،والتصاوير:التماثيل).(ابن منظور،مادة صور) ولايخرج معنى الصورة في المعاجم الأخرى عن المعنى المذكور عند ابن منظور فهي تعني التصوير والتمثيل للأشياء.

أما في **الاصطلاح**:فهي وسيلة للتعبير عن جمالية الشعر سواء أكان قديما أم حديثا ،وقد تطرق نقادنا القدماء إلى مفهوم الصورة واعطوه أهمية كبيرة ،وكان أولهم الجاحظ(255) في قوله:(تخير اللفظ وسهولة المخرج،وكثرة الماء،وصحة السبك،وتلاحم أجزاء القصيدة فإنما هو صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير) (الجاحظ،120,1998).

ولم يخرج الجرجاني(471ه)عن مفهوم الصورة عند الجاحظ وذلك في قوله:(فمعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ،وأن سبيل المعنى الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منه الخاتم)(الجرجاني،317). فهو ينظر إلى الصورة على أنها كامنة في قدرة الشاعر على تصوير المعنى الذي يريده،ويسعى إلى صياغته.

أما القرطاجني (684ه)فقد وسع مفهوم الصورة من خلال قوله:(إن المعاني هي الصور الحاصلة في الاذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان فكل شيء له وجود خارج الذهن ،فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ماأدركه منه ،فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الأدراك ،أقام اللفظ المعبر به عن هيئة الصور الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم) (القرطاجني،120,1986).

هؤلاء أبرز من تناول الصورة من النقاد القدماء وأشاروا إلى مفهومها وأثرها في السامعين.أما عند المحدثين فقد اختلف مفهوم الصورة كثيرا وتشعب بينهم ،فذهب بعضهم إلى عدها (قدرة الشاعر على إثارة صور بصرية في ذهن المتلقي،وهي فكرة تعد المفصل الأول أو المقدمة الأولى للعلاقة بين التصوير والتقديم الحسي للمعنى (عصفور،213,1992).

وذهب غيره إلى جعلها منهجا فوق المنطق لبيان حقائق الأشياء(ناصف،82) ،كذلك هي وحدة تركيبية معقدة تتبارى فيها شتى المكونات:الواقع والخيال واللغة والفكر،والإحساس والإيقاع الداخل والخارج والأنا والعالم(اليافي،40,1996).

ولانريد أن نذكر الأراء جميعها لأنها مما تناولته دراسات كثيرة بالبحث والتمحيص،ولكن مانريد قوله هو:إن الصورة الشعرية متعلقة بقدرة الشاعر وسعة خياله ومهارته الابداعية .وقد حاولنا تناول أبرز الصور التي وردت فيها الانساق الثقافية عند الشاعر بشر بن أبي خازم ،ومنها:

_ صورة المرأة/نسق اللذة والمتعة:

تشغل المرأة حيزا واسعا في دواوين الشعراء الجاهليين، وقد تمثلت في صورة متنوعة بين الحديث عنها وذكر محاسنها،وابراز صفاتها ومحاسنها والتشبيب بها ،لأنها عنصر يشغل الوجدان والاحاسيس فضلا عن كونها حافزا مهما تستثار من خلاله العاطفة وتستدر القرائح الشعرية ،لتغدو مادة شعرية لدى شعراء ذلك العصر، وقد ذكر ابن قتيبة أهمية ذلك التشبيب والنسيب بقوله:(لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من من محبة الغزل والف النساء) (ابن قتيبة،20)وكذلك ماذكره ابن رشيق القيرواني في حديثة عن عمل الشعر وشحذ القرائح،إذ يقول:(لعمري انه إذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب ،ووضع رجله في الركاب)(القيرواني،206,1981)

وهذا مما يدل على أهمية دور المرأة والتغزل بها في إهاجة مشاعر الشاعر وأحاسيسه،فتتبلور تجربته بما تحمله من سعادة أو حزن،ولذة أو ألم.

ولم يكن بشرا بعيدا عن ذلك بل كان يختزن المرأة في ذاكرته ،لأنها تعيش في المخيلة والأحلام من حيث كونها تشكل موضوعا أو نسقا ثقافيا للذة والمتعة،وذلك من خلال اللجوء إلى ذكر أبراز الجوانب الحسية أو المعنوية ،سواء ما كان يتعلق بأنوثتها الطاغية أو سلوكها النفسي والأخلاقي.

ارتبط نسق اللذة في الثقافة العربية ارتباطاً وثيقاً، ويتمثل في الموروث الشعري العربي عند الحديث عن المرأة والتغزل بها وذكر مواقف الشعراء معها، كما يرتبط باللهو والقمار وشرب الخمر وغيرها.ولم تكن علاقة بشر بالمرأة علاقة مخالفة للمألوف، فهي علاقة الحبيب بحبيبتهِ، وما يترتب عليها من شوق وصبابة ووصل وهجران، كما كان ينظم في أغلب قصائده. وكما تظهر المرأة المنهزمة في ثنايا حديثهِ عن انتصارات قومه فكانت ملهمتهُ الشعرية، ووسيلة لتحريك الجمال الكامن فيه، وإثارة الشوق إلى الكمال، ونرى أيضا أنها ظهرت بصور مُتنوعة ومتفاوتة الحضور، غير أن الصورة التي كان لها التأثير في نفس بشر كانت حسية متمثلة بنسق ثقافي متعارف عليه، ومن ذلك ماذكره بشر إذ فصّل صورتها وصولا لتحقيق نسق ثقافي يكاد يكون متوارثا،يقول:

وَفـــي الأظْعـــانِ آنِســـةَ لَعُـــوبٌ	تـــيَمَّمَ أهْلهـــا بَلَـــداً فَســـارُوا
مَـــنَ اللاّتـــي غُـــذِينَ بِغيـــرِ بُـــؤْسٍ	مَنازِلهـــا القُصـــيْبَةَ فَـــالاوارُ
غَـــذَاها قـــارِصٌ يَجْـــرِي عَلَيْهَـــا	وَمَحْـــضٌ حِـــينَ تَنْبِعِـــثُ العِشـــارُ
نبيلَـــةَ مَوْضِـــعِ الحِجْلَـــيْنِ خَـــوْدٌ	وَفِـــي الكَشْـــحَينِ وَالـــبَطْنِ اضْـــطِمارُ
ثَقَـــالٌ كُلّمـــا رامَـــتْ قِيامـــاً	وَفِيهـــا حِـــينَ تَنْبَعِـــثُ انْبِهـــارُ

(الديوان:الأسدي،1960، 64-65)

يصب الشاعر فيض مشاعره الحسية على هذه الفتاة التي يأنس بالحديث معها والقرب منها لرَّشاقتها ودلالها،وقد اغدق عليها الصفات الحسية فقد تغذت من اللبن حتى بان بياضه في وجهها وبشرتها،وغدت ممتلئة الساقين دقيقة الخصر، تقوم بتثاقل وتتنفس ببطء، ثم يربط بين هذه الصورة وما تحققه من نسق الالتذاذوالتمتع بتلك الاوصاوف التي باتت راسخةً في الثقافة النسقية.فبشر يقرن صورة المرأة بنسق اللذة والمتعة الذي تحققه بتلك الصفات التي قدمها من خلال الصورة الحسية.

ويركز على تفاصيلها الجسدية من أجل تحقيق اللذة، فيقول:

رَأى دُرّةً بَيْضـــــاءَ يَحْفِـــــلُ لونَهـــــا سُـــــخامٌ كغِرْبْـــــانِ البَرِيـــــرِ مُقَصَّـــــبُ

ومـــــامُغْزِلٌ أدْمـــــاءُ أصـــــبَحَ خِشْـــــفُها بأسْـــــفَلِ وادٍ سَـــــيلُهُ مُتصَـــــوَّبُ

خَـــذولٌ مِـــنَ البِـــيضِ الخـــدودِ دَنَـــا لهـــا أراكٌ برَوْضـــــاتِ الخُزامَـــــى وحُلّـــــبُ

(الديوان:الأسدي،1960 ،7-8)

يتحدث عن امرأة بيضاء البشرة، كالدرة في لمعانها وصفائها، يحيط بها شعر شديد السواد،وهي رشيقة وجميلة كالغزال لا تماشي رفيقاتها ،بل تختار طريقاً منفرداً خاصاً بها، لذا شكلت تلك الصورة أحسن ما تراه العين وتلتذ به.

ويبدو أن بياض بشرة المرأة كان مهيمناً نسقياً واشتراطاً من اشتراطات ثقافة اللذة العربية في ذلك الزمن، إذ يقول:

فقـــــدْ ألْهُـــــو إذا ماشِـــــئتُ يَوْمـــــاً إلـــــى بَيْضـــــاءَ آنِســـــةٍ لعُـــــوبِ

(الديوان:الأسدي،21,1960)

اللهو معادل موضوعي من أجل تحقيق اللذة، وكأنه يفتخر بهذه المزية، مؤسساً ذلك على نسق ثقافي يتقبل منه ذلك أو يشجعه عليه، وموضع اللهو واللذة فتاة شابة بيضاء، وهي صفات أقرتها النسقية الجاهلية.

ومما يؤكد هذه الصفات التي هي موضع اللذة الشعرية قوله:

كَـــــانَّ ظِبـــــاءَ أسْـــــنُمَةٍ عَلَيْهـــــا كَـــــوانِسَ قالصـــــاً عَنْهـــــا المَغَـــــارُ

يُفَلّجْـــــنَ الشَّـــــفاهَ عَـــــنُ اقْحُـــــوَانٍ جَـــــلاَهُ غِـــــبَّ سَـــــارِيَةٍ قِطـــــارُ

(الديوان:الأسدي،63,1960)

يشبه الشاعر النساء بالظباء التي تأوي إلى أشجار معروفة في بيئته، ويركز على وصف شفاههن التي تنفرج فتظهر اسناناً كالأقحوان الذي أمطرت عليه غيمة سارية،وكلها صور حسية حاول الشاعر ان يشير من

خلالها الى انساق ثقافية تحقق له المتعة واللذة .

صورة الرحلة /نسق قوة الذات في مواجهة ألمها :

يرغب الإنسان دائماً في التجديد والتغيير، وهذه الرغبة ترتبط بسعيه للبحث عن أسرار الحياة، والكشف عن لحظات تجلي المعارف واكتسابها، فالعربي الذي عاش في عصر ما قبل الإسلام كانت الرحلة نافذته للتعرف على الأماكن والبيئات والعوالم المختلفة، وكانت الناقة رفيقة سفره ووسيلة نقله وأنيسه في الصحاري والقفار التي يقطعها إلى بلوغ غايته.

وكانت الرحلة من المكونات الثقافية الاساسية في شعر بشر ،نظرا لحضورها المتكررفي مباني قصائده،لأنها تمثل ركناً أساسياً في معمارها، وتتبوأ مقطعا قد يطول وقد يقصر بعد مقطع الطلل، وتشكل مع بقية عناصر القصيدة معمارا نموذجيا ونسقاً ثابتاً يتمثل بالتحولات الاجتماعية والثقافية والفردية، ويستوعب البيئة الصحراوية بكل أشيائها ومكوناتها؛لأنها تتضمن مضمرات ثقافية عديدة، من أهمها النزوع إلى التغيير والتحول والانتقال وعدم الركون إلى وضع واحد ومكان واحد وثابت. وبذا يمكننا القول:إنّ نسق الرحلة هو نتاج تفاعل بين ثقافة الشاعر ونوازعه وأسلوبه ورصيده اللغوي، وبين معارف المجتمع وأعراف البيئة والمكان فضلا عن الظروف المحيطة بإنتاج الخطاب الشعري في ذلك الزمان.

ويبدأ نسق الرحلة عند بشر بالحديث عن الناقة ووصفها ومحاولة تسلية الهموم،إذ يقول:

وَلَقَـــدْ أَسَـــلّي الهَـــمَّ حـــينَ يَعُـــودُني ... بِنَجَـــاءِ صـــادِقَةِ الهَـــواجِرِ ذِعْلَـــبِ

حَـــرْفٍ مُـــذَكَّرَةٍ ، كـــأنَّ قُتُودَهـــا ... بَعْـــدَ الكَـــلاَلِ علـــى شَـــتِيمٍ أحْقَـــبِ

جَـــوْنٍ، أضـــرَّ بمُلْمِـــعٍ يَعْلُـــو بِهـــا ... حَـــدَبَ الإكـــامِ وَكُـــلَّ قـــاعٍ مُجْـــدِبِ

يَنْـــوِي وَســـيقَتَها، وقـــد وَسَـــقَتْ لَـــهُ ... مـــاءَ الوَسِـــيقَةِ فـــي وِعـــاءٍ مُعْجِـــبِ

فَتَصُـــكُّ مَحْجِـــرَهُ إذا مـــا اسْـــتَافَها ... وجَبِينَـــهُ بِحَوَافـــرٍ لـمْ تُنْـــكَبِ

وتَشُـــجَّ بـــالعَيْرِ الفَـــلاَةَ كَأنَّهـــا ... فَتْخـــاءُ كاسِـــرَةٌ هَـــوَتْ مِـــنْ مَرْقَـــبِ

والعَيْـــرُ يُرْهِقهـــا الخَبـــارَ، وَجَحْشُـــها ... يَـــنقَضُّ خَلْفَهُمـــا انْقِضَـــاضَ الكَوْكَـــبِ

فعلاهمـــا ســـبط كـــأن ضـــبابه ... بِجُنُـــوبِ صَـــاراتٍ دَوَاخِـــنُ تَنْضُـــبِ

فَتَجارَيـــا شَـــأواً بَطِينـــاً مِيلُـــهُ ... هَيْهـــاتَ شـــاوُهماً وشَـــاوُ النَّوْلـــبِ

أو شِـــبْهُ خاضِـــبةٍ كَـــأنَّ جَنَاحَهـــا ... هِـــدْمٌ، تَجاسَـــرُ فـــي رِئـــالٍ خُضَّـــبِ

(الديوان:الأسدي1960,35-37)

ينطلق الشاعر من وصف الناقة اشارة منه الى عدها وسيلة لتسلية الهم عن النفس، مستأنساً بناقته القوية

السريعة،تبعاً لما ترسخ في الثقافة النسقية الشعرية في العصر الجاهلي. ونجد إكثارالشعراءفي العصر الجاهلي من تشبيه الناقة بالفحل الكريم في حال وصفها بالقوة والنشاط والسرعة،بذلك تكون الرحلة بواسطة تلك الناقة قد حققت نسقا ثقافيا فيه خلاص الشاعر من المعاناة برحيل سلمى وانتقاله من عالم الحب والخيال إلى عالم الواقع والمعاناة ،فهي وسيلة اسقاطية على ذات الشاعر لمواجهة الالم وتحقيق القوة،ومن أمثلة ذلك قول بشر بن أبي خازم الأسدي في وصف ناقته:

فَقُمْـــتُ إلـــى مَقْذُوفَـــةٍ بِجَنِينِهـــا عُـــذَافِرةٍ كالَفَحْـــلِ وَجْنَـــاء عِـــرْمِسِ

جُمالِيَّـــةٍ غَلّبَـــاءَ مَضْـــبُورَةٍ القَـــرىَ أمُـــونٍ دمـــولٍ كـــالَفَنِيقِ العَجَـــنَّسِ

(الديوان:الأسدي1960,100-101)

فالواضح أن الشاعر في هذين البيتين يذكر مجموعة من أوصاف ناقته ثم يختتم في كليهما بصورة تشبيهية (كالفحل- كالفنيق) لتقريب الفكرة (قوة هذه الناقة ونشاطها وجمال هيئتها) إلى الأذهان فهو حين شبهها بهذه التشبيهات أوحى بأنها ناقة ليس فيها مايعاب من الصفات، ولا فرق بينها وبين الفحل في القوة والصلابة ،وفي البيت الثاني شبهها بالفحل الفنيق (الكريم) ليوحي بأنها ناقة كريمة تفضل على غيرها من النوق ، كما هو الأمر عند من يرى أن ناقته (في خلقها عن بنات الفحل تفضيل)، وهي اشارة الى انها ذات الشاعر القوية في مواجهة واقعها.وبسبب الكرم تحظى الناقة لدى بشر برعاية خاصة تجعلها ممتلئة الجسم وفي غاية النشاط، فكلا التشبيهين إذن يرسم صورة نموذجية للناقة تعكس قيمتها في الاشارة لقوة الذات.

و يقول واصفاً:

هَوْجَـــاءُ ناجِيـــةٌ ، كَـــأن جَـــدِيلَها فـــي جِيـــدِ خاضَـــبةٍ إذا مَـــا أوْجَفُـــوا

يَبْـــرِي لَهَـــا خَـــرِبُ المُشَـــاشِ مُصَـــلَّمٌ صَـــعْلٌ هِبَـــلٌ ذو مَناسِـــفَ أسْـــقَفُ

أكَّـــالُ تَنَّـــومِ النَّقَـــاعِ كَأنَّـــهُ حَبَشِـــيٌّ حَازِقَـــةٍ عَلَيْـــهَ القَرْطَـــفُ

(الديوان:الأسدي،1960,154)

فهي ناقة سريعة كأن بها هوج الريح، وهي كالنعامة في سرعتها ومجاراتها للقافلة إذا اسرعت في سيرها، كأن ذكر النعام قد انبرى لمطاردتها، وهو ذكر يأكل التنوم ولون ريشه اسود. وهذه التشبيهات من موروثات البيئة والمكان والثقافة التي تربى عليها الشعراء في الجاهلية.

وقد تكون الناقة وسيلة لهموم البشر وملاذه في الملمات لأنها السلوى والعزاء الذي يلهي به النفس،والمنجية من الحزن إذ يقول:

فَـــإنْ تَـــكُ قَـــدْ نَأتْـــكَ اليَـــوْم سَـــلَمى فَكُـــلُّ قُـــوَى قَـــرينٍ لِانْقِطـــاعِ

وَقَـــدْ أمْضِـــي الهُمُـــومَ إذا اعْتَرَتْنـــي بِحَـــــرْفٍ كالمُوَلعَـــــةِ الشَّـــــنَاعِ

تَـــرَى فـــي رَجْـــعِ مِرْفَقِهـــا نُتُـــوءاً إذا مـــــا الآلُ خَفَّـــــقَ لِإرْتِفـــــاعِ

فســـــائِلْ عـــــامِراً وَبَنـــــي تمِـــــيمٍ إذا العِقْبـــــانُ طـــــارَتْ لِلْوِقـــــاعِ

(الديوان:الأسدي،110,1960)

فالرحلة عبر الناقة جاءت لتخلص الشاعر من الهموم جراء فراق المحبوبة ،ثم ظهرت تلك الناقة القوية صلبة تتحمل (المشاق)لأثبات قوة الذات وقدرتها على المواجهة ،والنسق الثقافي الذي حققته الرحلة يكمن في اثباتها قوة الذات في عالم الوجود ومايؤكد ذلك انتقال الشاعر إلى وصف معاركه وحروبه مع بني عامر وبني تميم.

ومنه قوله:

أنِيَّـــــــةٌ الغَـــــــداةَ أَمِ انْتِقـــــــالُ لِمُنْصـــــــرِفِ الظّعَـــــــائنِ أمْ دَلالُ

جَعَلْـــــنَ قَنَـــــا قُرَاقِـــــرَةٍ يَمِينـــــاً لِنِيَّـــــتهِنَّ، فَانْجَـــــذَمَ الوِصَـــــالُ

كَـــــأنَّ علـــــى الحُـــــدُوجِ مُخَـــــدَّراتٍ دُمَـــــى صَـــــنْعَاءَ خُـــــطّ لَهـــــا مِثـــــالُ

أوِ البِـــــيضَ الخُـــــدُودِ بِـــــذِي سُـــــدَيْرٍ أطـــــاعَ لَهُـــــنَّ عُبْـــــرِيٌّ وضَـــــالُ

فَسَـــــلَّ الهَـــــمَّ عَنْـــــكَ بِـــــذاتِ لَـــــوثٍ صَـــــمُوتٍ مَـــــا تَخَوَّنَهـــــا الكَـــــلاَلُ

تَـــــرَى الطّـــــرَقَ الْمَعبَّـــــدَ مِـــــنْ يَـــــدَيْها لِشَـــــذّانِ الحَصَـــــى مِنْـــــهُ انْتِضَـــــالُ

تَخـــــرُّ نِعَالُهـــــا ،وَلَهـــــا نَفِـــــيٌّ نَفِـــــيَّ الحَـــــبَّ تَطْحَـــــرُهُ المِـــــلالُ

ألاَ تَنْسَـــــى الكَفُورَ،وَكـــــلَّ شَـــــيءً مِـــــنَ الأَخْـــــلاقِ تَنْتَجِـــــعُ الرِّجـــــالُ

إلـــــى أَوْسِ بْـــــنِ حارِثَـــــةَ بْـــــنِ لأمٍ وَحَـــــقَّ لِقـــــاءُ رَبِّـــــكَ لَـــــوْ يُنَـــــالُ

(الديوان:الأسدي،167,1960)

فالرحلة حققت نسقا ثقافيا متمثلا بضرورة وصولها إلى ذلك الكريم الذي أسر الشاعر ثم عفا عنه ،فأغدق عليه صفات البطولة والاخلاق .والناقة واسطة حقق من خلالها الشاعر الانتقال من عالم الهجر والفقدان إلى عالم الوصل والمدح،ليجعلها وسيلة قوة للذات.

وبهذا فإن النسق الثقافي يعتمد على تلك الراحلة السريعة تامة الخلق فضلا عن قوتها ونشاطها.وعليه نقول:إن الشاعر الجاهلي بشر بن أبي خازم جعل من الناقة وسيلة إلى غاية عبر نسق ثقافي ليحقق له رحلة الانتقال من عالم المعاناة إلى عالم القوة والشدة والصلابة.

والمشاهد التي تضمنتها صور الرحلة في قصائد بشر، إنما هي من أعراف النسق الثقافي التي تنعكس في قوله الشعري، وهي مما انتجته التقاليد المعرفية الراسخة في المجتمع في ذلك العصر.

صورة الظعينة / نسق الفراق والهجر:

تشكل الظعينة في شعر بشر ظاهرة تكرارية بارزة في ديوانه. وقد جسدت مشاهدها موقفا إنسانيا قلقا ومقطعا بنيويا فاعلا ومتوالدا في إطار العلاقة الكلية بما يثيره النص الشعري من موضوعات وإشكاليات.(عليمات،73,2009)

ومنه قوله:

أطْـــلالُ مَيَّـــةَ بـــالتَّلاع فَمِثْقَـــبِ ... أَضْـــحَتْ خَـــلاءً كَـــاطّرادِ المـــذْهَبِ

ذَهَـــب الأَلَـــى كـــانُوا بِهِـــنَّ، فَعـــادَني ... أَشْـــجانُ نَصْـــبٍ لِلظّعَـــائِنِ مُنَصِـــبِ

فانْهَـــلَّ دَمْعِـــي فِـــي الـــرَّداءِ صَـــبَابَةً ... إِثْـــرَ الخَلـــيطِ، وَكُنْـــتُ غَيْـــرَ مُغَلَّـــبِ

فَكَـــأَنَّ ظُعْـــنَهُمُ غَـــدَاةَ تَحَمَّلـــوا ... سُـــفُنٌ تَكَفَّـــأَ فـــي خَلِـــيجٍ مُغْـــرَبِ

(الديوان:الأسدي،1960، 33-35)

تستند هذه الأبيات إلى الثنائية الضدية والعلاقة الجدلية، إذ تتكون من موضوعين: الطلل/الظعينة. فالتحول السلبي الذي يطرأ على المكان قد جعله مثالا للخواء والجدب، الذي تنتفي معه صورة الحياة الإنسانية وصفة الحضور فإن المكان كان جامعا لمقومات الحياة وذلك بوصفه علامة تدل على التئام الشمل وتوحد الجماعة ، أصبح مكانا مهدما يشير لقسوة الحروب التي تكره المجموع الإنساني على التخلي قسرا عن الحضارة التي يؤسسها العقل. ولذلك يعد بكاء الشاعر على رحلة الظعائن شعيرة طقسية يحاول من خلالها إحياء المكان اليباب، من أجل انبعاث الحالة الإنسانية على صفحة المكان.(عليمات،98,2009)

نلاحظ الشاعر في هذه الابيات يرفض الاستسلام، فإنه سرعان مايلجأ إلى توظيف أدواته الثقافية ،وذلك من أجل الخروج من أزمات الواقع، فيتخذ الناقة التي تتمتع بمزايا خارقة وسيلة لعبور واقعه المأزوم وأملا بانبعاث الحياة من جديد.(عليمات،2009، 98-99)، ومنه قوله :

أَمِـــنْ لَيْلَـــى وَجارَتِهـــا تَـــرُوحُ ... وَلـــيْسَ لحِاجَـــةٍ مِنْهـــا مُـــرِيحُ

وَلـــيْسَ مُبَـــيَّنٌ فـــي الـــدّارِ إلاّ ... مَبِيـــتُ ظَعَـــائِنٍ وَصَـــدىً يَصِـــيحُ

وَلَـــمْ تَعْلَـــمْ بِبَـــيْنِ الحَـــيَّ حَتَّـــى ... أَتـــاكَ بِـــهِ غُـــدَافِيٌّ فَصِـــيحُ

فَظَلَّـــتُ أَكَفْكِـــفُ العَبَـــراتِ مِنّـــي ... وَدَمْـــعُ العُـــينِ مُنْتهمِـــرٌ سَـــفُوحُ

وَدَمْعِي يَوْمَ ذلِكَ غَرْبُ شَن بِجانِـــــبِ شَـــــهْمَةٍ مـــــا تَسْـــــتَرِيحُ

(الديوان:الأسدي،49,1960)

عندما يقف المتلقي للنظر لهذا النص الشعري تظهر امامه أبرز الانساق وهي (الشاعر، والظعن)، وقد نرى في هذه الجدلية وهي الجدلية الأولى والتي تحمل جدلية الشاعر مع محبوبته ليلى ، وكذلك الظعن إذ إن الشاعر يفجع بطبيعة العلاقة مع المحبوبة التي لم يجد لها وصولا أو بغيا محققة،لأنه تلك العلاقة أصبحت ظاعنة ، متحولة إلى اللحظة الآنية الحزينة التي أدت إلى فجيعة، وبهذا الانقلاب والتحول الوجداني تحول من السكون إلى الحركة في صورة المحبوبة ،الا وهي (ليلى) فإن نسق الظعائن في هذه القصيدة قد يؤدي إلى طرح العديد من التساؤلات الإنكارية ،التي كشفت عن قلق الشاعر الجاهلي وإحساسه الذي جعله يشعر بحالة من اليأس والانتفاء .(عليمات، 117,2004)

وقد انعكس هذا الموقف على النفس فخيم الألم والحزن الذي جعلها تذرف العبرات على ذلك الفراق ،ولم يسبق له إلا ذلك الصدى الذي رمز به إلى الشؤم في المكان ،وهو نسق متعارف عليه في المخيال الثقافي العربي وهذا ماذكره الجاحظ ،إذ إن الغراب لزمه بهذا الاسم ((لأنه إذ ابان أهل الدار للنجعة وقع في مرابض بيوتهم يلتمس ويتقمم ، فيتشاءمون به ويتطيرون منه ، إذ كان لايعترى منازلهم إلا إذا بانوا ، فسموه غراب البين)).(الجاحظ،315,1965)

وفي قصيدة أخرى يصف ما خلفه رحيل جيرانه عنه من حسرة وألم ،وما أصابه من أسى ولهفة ،حين رآهم يستعدون للرحيل ،فوقف في ساحة الدار ،لايتحرك ولايبرح مكانه .ويكاد الحزن يعصف به عندما يرى النوق الصلبة القوية تهبط على الأرض لتحمل صاحبته وتبدأ الرحلة.(عطوان،144,1970) يقول:

بَـــانَ الخَلِـــيطُ وَلَـــمْ يُوفُـــوا بِمـــا عَهِـــدوا وَزَوَّدُوكَ اشْـــــتِياقاً أيَّـــــةً عَمـــــدُوا

شَـــقّتْ عَلَيْـــكَ نَـــوَاهُمْ حـــينَ رِحْلَـــتِهم فَأَنْـــتَ فـــي عَرَصـــاتِ الـــدّارِ مُقْتَصَـــدُ

لَمـــــا أَنِيخَـــــتْ إِلَـــــيْهِمْ كـــــلُّ آبِيـــــةٍ جَلْـــسٍ ونُفَّـــضَ عَنْهـــا التّامِـــكُ القَـــرِدُ

كـــــادَتْ تســـــاقِطُ مِنّـــــي مُنـــــةَ أَسَـــــفاً مَعَاهِـــدُ الحَـــيَّ وَالحُـــزْنُ الـــذِي أجِـــدُ

(الديوان:الأسدي،1960، 54-55)

قد ينطوي المشهد الظعيني على النقد اللاذع الذي يوجهه الشاعر للخليط وذلك بسبب انعدام الوفاء بالعهد تجاه الشاعر والقبيلة، وكذلك غياب العهد بمبادئ العقد الاجتماعي القبلي الذي يوحدهم في الإطار المكاني ضد المفاهيم والبحث عن المجهول ،إذ إن حالة التوتر التي يبديها الشاعر إزاء حركة الخليط الظعائن واقعة بجدلية عميقة قد تتجلى في قصائد الحروب عند الشعراء الجاهليين.(عليمات،107,2009)

فالشاعر عندما يذكر الظعينة (الخليط)،يشير إلى نسق الهجر والفراق المرافق له وذلك من خلال وقوف

الشاعر مكتوف الايدي لايستطيع أن يمنع رحلتها ،ولايبقى أمامه سبيل إلا الحزن والألم على رحيلها .فصورة الظعن قد تشكل في إطار بنية القصيدة ضمن نسق ثقافي حزين مصحوب بالألم وقائم على الفراق والهجر .

ومن خلال هذا النص يتبين لنا بأن بشر بن ابي خازم يمر بحالة انفعال ودهشة برحلة الظعائن، وهذا الانفعال لم يأتِ من فراغ وإنما يحمل مسؤولية خواء ذلك المكان والاغتراب الانساني الذي يجعله يشعر بالهجر والفراق.

وهكذا نستدل على أن صورة الظعينة قد مثلت نسقا ثقافيا مرتبطا بالهجر والآلم واللوعة والفراق،وقد اعتمد ذلك على قدرة الشاعر على صياغة العواطف التي تؤرقه ليصنع منها أدوات ثقافية يواجه بها المجتمع.

صورة الطلل وتفاصيله/ نسق الخصوبة:

سعى الفرد الجاهلي إلى تحرير ذاته من خلال الإرادة القوية التي يتحدى بها عوامل الزمن ،فكان يلجأ إلى سبل عديدة متنوعة يجعلها أنساقا يعتمد عليها البناء المضموني للقصيدة ،ومن تلك السبل ،قوله:

إنَّ الفُـــؤادَ بِـــآلِ كَبْشَـــةَ مُـــدْنَفُ ... قَطَـــعَ القَرِينَـــةَ غُـــدْوَةً مَـــنْ تَـــأْلَفُ

فَكَـــأَنَّ أَطْـــلالاً وَبـــاقِيَ دِمْنَـــةٍ ... بِجَـــدُودَ أَلْـــواحٌ عَلَيْهـــا الزَّخْـــرُفُ

فَجِمـــادِ ذِي بهْـــدَى ،فَجَـــوَّ ظُلاَمَـــة ... عُـــرَّينَ ،لَـــيْسَ بِهِـــنَّ عَـــيْنٌ تَطْـــرِفُ

إلا الجَـــاذِرَ تَمْتَـــرِي بِأُنُوفِهـــا ... عُـــوذاً إذا تَلَـــعَ النّهـــارُ تَعَطـــفُ

حُـــمَّ القَوادِمِ،مـــايَعُرُّ ضُـــرُوعَها ... حَلَـــبُ الأَكُفَّ،لَهـــا قَـــرارٌ مُوْنِـــفُ

(الديوان:الأسدي، 1960، 152-153)

يقدم بشر صورة لذلك الطلل وقد عمه الخراب ولم يبقَ فيه سوى الأثار(الدمنة،ألواح مزخرفة)،وفي خضم هذه الصورة يحيل إلى صورة أخرى يقدم فيها نسقه الثقافي من خلال (صورة الجاذر)التي تشير إلى النسق الثقافي في الخصوبة ،لأنها تدل على التوالد والتكاثر في ذلك المكان فضلا عن صورة (الحنو والعطف) بينها وبين أمهاتها ،فقد استبدل صورة الأنسان بصورة حيوانية تحمل دلالات الخصوبة.

ففي قوله(لها قرار مؤنف)دلالات خصوبة المكان،لأن من معاني(الأنف)امتناعه عن الرعي وإخصابه بالنبات.(ابن منظور،مادة أنف)

وقد يكون النسق الثقافي معتمدا على صور المطر، فالمطر عنصر الوجود،وهو المنقذ من الدمار والهلاك والفناء فكان الجاهلي يتتبع تساقط الغيث في الصحراء ،وكذلك حاول أن يؤثر فيها من خلال عادات كانوا يمارسونها مثل السحر والاستسقاءاء والأدعية. (قادرة،109,2018)

ومن ذلك قوله :

هَـلْ لِلْحَلِـيمِ عَلَـى مـا فـاتَ مِـنْ أَسَـفٍ أَمْ هَلْ لِعَيْشٍ مَضَى في الدَّهْرِ مِنْ خَلَفِ

وَماتَـذَكُّرُ مِـنْ سَـلْمَى، وَقَـدْ شَـحَطَتْ فـي رَسْـمِ دَارٍ وَنُـؤْيٍ غَيْـرِ مُعْتَـرَفِ

جـادَتْ لَـهُ الـدَّلْوُ وَالشَّـعْرَى وَنَوْهُمـا بِكُـلَّ أَشْـحَمَ دَانِـي الـوَدْقِ مُرْتَجِـفِ

وَقَـدْ غَشِـيتَ لَهـا أَطْـلالَ مَنْزِلَـةٍ قَصْـراً بِرامَـةَ والـوَادي وَلَـم تَقِـفِ

(الديوان:الأسدي،1960، 157-158)

يستذكر الشاعر مكان المحبوبة المقفر فيحاول أن يضفي عليه الخصوبة والحياة من جديد،وذلك في قوله(جاءت له الدلو والشعرى) وفيه يتحقق النسق الثقافي فكأن الحياة الانسانية قد انتهت لتحل محلها عوامل خصوبة أخرى مختلفة تمثلت بالمطر. والمطر هو نسق الخصوبة الذي يأمله الشاعر،ويعمل المطر على تغيير معالم ذلك المكان ايضا، للدلالة على فاعلية في الاخصاب، إذ يقول:

عَفَـا رَسْـمٌ بِرامَـةَ فَـالتَّلاعِ فَكُثْبـانِ الحَفِيـرِ إِلـى لَقَـاعِ

فَجَنْـبِ عُنَيْـزَةٍ فـذَوَاتِ خَـيْمٍ بِهَـا الغِـزْلانُ وَالبَقَـرُ الرَّتَـاعُ

عفَّاهـا كُـلُّ هَطّـالٍ هَـزِيمٍ يُشَـبَّهُ صَـوْتُهُ صَـوْتَ اليَـرَاع

وَقَفْـتُ بِهـا أَسـائِلُها طَـويلاً وَمَـا فِيهـا مُجاوَبَـةً لِـداعِي

(الديوان:الأسدي،109,1960)

ففاعلية المطر تكمن في كونه وسيلة لإخصاب الأرض التي احتلتها الغزلان والبقر بعد الأنسان ،وبذلك يكون المطر عاملا أساسا في تغيير مجرى الأحداث التي يحاول الشاعر أبداعها في القصيدة لتشكيل نسق ثقافي مناهض لفكرة الجفاف أو العفاء.

وقد يجمع الشاعر بين المطر والريح من أجل تحفيز عوامل التغيير والاخصاب إذ يقول:

تَغَيَّـرَتِ المْنَـازِلُ بالكَثِيـبِ وعَفّـى أيَهـا نَسْـجُ الجَنُـوبِ

مَنـازِلُ مِـنْ سُـلَيْمَى مُقْفِـراتٌ عَفَاهـا كُـلُّ هَطّـالٍ سَـكُوبِ

(الديوان:الأسدي،20,1960)

فالنسق الثقافي لايعتمد على المطر كعامل للإخصاب والتغيير بل يجعل الريح سببا في إيجاد تلك الخصوبة.

ومن قوله:

كَـأنَّ خَوَالِـداً فـي الـدَّارِ سُـفْعاً بِعَرْصَـتِها حَمَامَـاتٌ وُقُـوعُ

(الديوان:الأسدي،130,1960)

لم يبق في الدار إلا السفع،وهو الأثر المتبقي الذي قرنه بالحمام ذلك الطائر المعروف،ليدل على نسق الخصوبة الذي آشار إليه في الحيوان بعد غياب الانسان.

ويجعل بشر الألوان وسيلة أخرى من وسائله لتحقيق نسق الخصوبة في المكان ،إذ يقول:

غَشِـــيتَ لِلَيْلَـــى بِشَـــرْقٍ مُقامَـــا فَهـــاجَ لَـــكَ الرَّسْـــمُ مِنْهـــا سَـــقَامَا

بِسِـــقْطِ الكَثِيـــبِ إِلـــى عَسْـــعَسٍ تَخَـــالُ مَنَـــازِلَ لَيْلَـــى وشَـــامَا

(الديوان:الأسدي،186,1960)

وقوله:

أطْـــلالُ مَيَّـــةَ بـــالتَّلاع فَمِثْقَـــبِ أَضْـــحَتْ خَـــلاءً كَـــأَطْراد المـــذْهَبِ

(الديوان:الأسدي،33,1960)

وقوله:

لِمَـــنِ الـــدِّيَارُ غَشِـــيتها بِـــالأَنْعُمِ تَبْـــدُو مَعَالِمُهـــا كَلَـــوْنِ الأَرْقَـــمِ

(الديوان:الأسدي،177,1960)

يجسد بشر بقايا الدار المقفرة من خلال الاستعانة بالخيال والقدرة الشعرية التي يمتلكها،فتغدو الألوان والافعال الأنسانية كوسائل تزيين ومحاولة لأحياء تلك الديار، ومن ثم هو يشير إلى نسق ثقافي يتمثل بالخصوبة التي تضيفها هذه الألوان والوشوم والكتابة المزخرفة، وعلى الرغم من موت الحياة الأنسانية في هذه الديار، إلا أن عوامل الخصوبة حاضرة في ذهن الشاعر.

الخاتمة:

أبرز نتائج البحث:

1ـ تمثل نسق اللذة والمتعة من خلال الاشارة إلى الصور الحسية التي وصف بها بشرة المرأة من خلال تلك الاوصاف والتشبيهات.

2. تمثل نسق قوة الذات في مواجهة ألم الرحلة من خلال الناقة التي كانت رفيقة السفر،فقد عدها ركنا أساسيا لعبور تلك المرحلة الصعبة من الحياة.

3. جاء نسق الفراق والهجر في صور الظعينة التي عدت ظاهرة تكرارية بارزة في أشعاره،وقد جسدت موقفا،إنسانيا تجاه الوجود.

4. أما نسق الخصوبة فقد شمل صور الطلل ومازخرت به لوحة الطلل في نصوص بشر بعد محاولات بث الحياة من جديد عبر عنصر الحيوان أو عناصر الطبيعة.

المصادر:

1- لسان العرب:ابن منظور،دار احياء التراث العربي ،ط1، بيروت- لبنان،1999

2- البيان والتبين:الجاحظ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ط7،مكتبة الخانجي بالقاهرة ،1998

3- اسرار البلاغة:الجرجاني،قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر،الناشر دار المدني بجدة،مطبعة المدني بالقاهرة

4- سراج الأدباء:القرطاجني،تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة،دار العرب الاسلامي،بيروت –لبنان ،1986

5- الصورة الفنية:جابر عصفور،المركز الثقافي العربي ،ط3،بيروت- لبنان ،1992

6- الصورة الأدبية:مصطفى ناصف،دار الأندلس للطباعة والنشر،بيروت- لبنان

7- دراسات فنية في الأدب العربي:عبد الكريم اليافي ، مكتبة لبنان ناشرون،ط1،بيروت لبنان ،1996

8- عبد الاله الصائغ

9- الشعر والشعراء:ابن قتيبة ،تحقيق وشرح احمد محمد شاكر،دار المعارف

10-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده حققه، وفصله، وعلق حواشيه :محمد محي الدين عبد الحميد،دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة،ط5،بيروت- لبنان،1981

11-النسق الثقافي:يوسف عليمات،عالم الكتب الحديث ،ط1، 2009

12-جماليات التحليل الثقافي:يوسف عليمات،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1،بيروت-لبنان،2004

13-الحيوان:الجاحظ ،تحقيق وشرح عبد السلام هارون،المجمع العلمي العربي الاسلامي،ط3،بيروت – لبنان،1969

14-مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي:تحسين عطوان،دار المعارف بمصر،1970

15-الوجود والعدم:غيثاء قادرة،دار كيوان للطباعة والنشر،2008

16-الديوان:بشر بن ابي خازم ،تحقيق:الدكتور عزة حسن،وزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم،ب،ط، دمشق 1960.

1 -Lisan Al-Arab: Ibn Manzoor, Dar Revival of Arab Heritage, 1st edition, Beirut-Lebanon, 1999.

2 -Statement and revelation: Al-Jahiz, investigated by Abd al-Salam Muhammad Harun, 7th edition, Al-Khanji Library, Cairo, 1998

3 -Asrar Al-Balaghah: Al-Jurjani, read and commented on by Mahmoud Muhammad Shaker, the publisher, Dar Al-Madani, Jeddah, Al-Madani Press, Cairo.

4 -Siraj Al-Adaba: Al-Qartajani, investigated by Muhammad Al-Habib Ibn Al-Khawja, Dar Al-Arab Al-Islami, Beirut - Lebanon, 1986

5 -The artistic image: Jaber Asfour, The Arab Cultural Center, 3rd edition, Beirut - Lebanon, 1992

6 -Literary Image: Mustafa Nasef, Dar Al-Andalus for Printing and Publishing, Beirut-Lebanon

7 -Artistic Studies in Arabic Literature: Abdul Karim Al-Yafi, Library of Lebanon Publishers, 1st edition, Beirut, Lebanon, 1996.

8 -Abdullah Al-Sayegh

9 -Poetry and Poets: Ibn Qutayba, edited and explained by Ahmed Mohamed Shaker, Dar Al-Maaref

10 -Al-Omdah in the Beauties of Poetry, its Etiquette and Criticism, verified it, separated it, and commented on its footnotes: Muhammad Mohiuddin Abd al-Hamid, Dar Al-Jeel for Publishing, Distribution and Printing, 5th Edition, Beirut-Lebanon, 1981

11 -The Cultural Pattern: Youssef Olaymat, The Modern World of Books, 1st edition, 2009

12 -The Aesthetics of Cultural Analysis: Youssef Eleimat, The Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st Edition, Beirut- Lebanon, 2004

13 -Animal: Al-Jahiz, investigation and explanation of Abd al-Salam Haroun, the Arab Islamic Scientific Academy, 3rd edition, Beirut - Lebanon, 1969

14 -The Introduction to the Poem in Pre-Islamic Poetry: Tahseen Atwan, Dar Al-Maarif, Egypt, 1970

15 -Existence and Nothingness: Ghaithaa Qadra, Dar Kiwan for Printing and Publishing, 2008

16 -The Court: Bishr bin Abi Khazim, investigation: Dr. Azza Hassan, Ministry of Culture and National Guidance in the Syrian Region, 1960